



ابحث هنا

قضايا وآراء

رأي

رفيق الحريري... كما تخيّله باسم السبع [3]



أسعد أبو خليل

السبت 25 كانون الثاني 2025

لا يزال الحديثُ هنا يتناولُ كتابَ باسم السبع الجديد، «لبنان في ظِلال جهنّم: من اتّفاق الطائف إلى اغتيال الحريري»، الصادر عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر في بيروت. علِمنا في الحلقة السابقة أنّ السبع أصبح صديقاً للحريري بعد أوّل لقاء. ذكّرني ذلك بما أخبرني به الصحافي رفيق خوري. حاول الحريري استمالته بالعروض الماليّة وأراده في فريقه الإعلامي، لكنّ خوري رفض بحُكم ولائه لعائلة سعيد فريحة، حسب ما أخبرني. فما كان من الحريري إلّا أن قال له: لكن أريدك صديقي. فأجابه خوري: كيف أكون صديقك مقابل المال؟

يعترف السبع أنّ الحريري «تسلّم تأشيرة الدخول إلى الحياة السياسيّة من الملك فهد بن عبد العزيز والرئيس حافظ الأسد» (ص. 51). هذا الذي أبلغونا في البرامج الدعائيّة والحلقات الحواريّة أنّه عانى من تسلّط النظام السوري عليه. أسهم السبع في صياغة خطاب الحريري الأوّل أمام جَمْع كبير لإطلاق دخوله المعترك السياسي. جاء في مقطع من خطاب المعارض الشرس للنظام السوري ما يلي: «لبنان سندٌ لسوريا في ضعفها وفي قوّتها. وسوريا سندٌ للبنان في ضعفه وقوّته. البَلَدان تحكمهما معادلة التضامن في السرّاء وفي الضراء، في الحرب كما في السِّلم، في النصر كما في الهزيمة» (ص. 53). هذا مقطع يصلح لوعود زوجَيْن يلتزمان بالوفاء والإخلاص من جديد بعد مضيّ عشرين أو ثلاثين سنة زواج.

دخل باسم السبع إلى السياسة (المجلس النيابي) بعَرْض التعيين ومن قِبل جهة خارجيّة، يقول: «كنتُ في عداد أشخاص طُرحت عليهم الفكرة في عام 1990. ومَن طرحها هو عبد الحليم خدّام نفسه» (ص. 59) (يقول إنّه رفض العرض). أليس هذا باسم السبع الذي يقول اليوم إنّ النظام السوري كان معارضاً له؟ يقترح النظام السوري تعيين معارضيه في المجلس النيابي؟ هل هذا يعني أنّ النظام السوري كان، على عكس سلوكه في داخل سوريا، واسع الصدر منفتح الذِّهن في لبنان، مُشجّعاً لمعارضيه لدخول المعترك السياسي؟ وفي زيارة إلى خدّام في دمشق، يقول: «في طريق العَودة، كان لا بدَّ من المرور بعنجر لكي تكتمل البركة السوريّة بلقاء العميد غازي كنعان الذي كانت لي معه محطّات كثيرة في الثمانينيّات». سيروي السبع في الكتاب (في ما بعد) ما جرى عندما سلّمَ مواطناً سورياً لكنعان، ما تسبّبَ على الأرجح في قَتْله (سأعود إلى ذلك في حينه). لكنْ لماذا يمرّ على عنجر صاحبنا؟ أعرف كثيرين كانوا يزورون سوريا لأغراض اجتماعيّة وتسويقيّة ولم يكونوا يمرّون على عنجر. ما هذا الطقس في الحياة السياسيّة اللّبنانيّة؟

كيف تعرّف السبع إلى كنعان؟ يقول: «كنتُ في تلك المرحلة في عِداد مَن ناشدوا القيادة السوريّة العودة إلى بيروت» في 1987 (ص. 60). هنا يعترف السبع بمسؤولية تاريخيّة (وحتى جُرميّة) في مناشدة الجيش السوري العودة إلى بيروت. هو وفريقه في 14 آذار يقولون إنّ سيطرة النظام السوري في لبنان كانت قمعيّة وإجراميّة (وبالفعل هي كانت كذلك) وفي الوقت نفسه يعترف أقرب المقرّبين إلى رفيق الحريري أنّه كان من مناشدي التدخّل السوري العسكري في لبنان في 1987. لن تستقيم مقولة إنّ النظام السوري تغيّر، لأنّه كان قمعيّاً في الثمانينيات كما كان حتى سقوطه. والمناشدة من السبع كانت بعد سنوات قليلة من مجزرة حماه، أي إنّه كان عالِماً بحقيقة هذا النظام وقدرته على قمْع المعارضة وقتْل المعارضين. وعندما استجاب النظام السوري لدعوة السبع للتدخّل العسكري، يعترف: «ووقفتُ في صفوف المُرحّبين والمُصفّقين». هنا ندرك أنّ معارضة رفيق الحريري للنظام السوري لم تكن تتعلّق بأيّ مبدأ غير امتناع النظام السوري في

مرحلة بشار الأسد عن تخليص الحريري من معارضيه، وعن تعيين رؤساء يقبضون منه مرتّباً كما كان في حالة إلياس الهراوي.

"هو وفريقه في 14 آذار يقولون إنّ سيطرة النظام السوري في لبنان كانت قمعيّة وإجراميّة وفي الوقت نفسه يعترف المقرّب إلى الحريري أنّه كان يريد التدخّل السوري في 1987"

يروي السبع القصّة الأولى مع غازي كنعان. كيف أنّه في شباط 1987 استدعاه غازي كنعان برفقة وليد ومحمد شقير وعبدالله الأمين (ليس مفارقة أنّ السبع ووليد شقير ومحمد شقير أصبحوا من شلّة رفيق الحريري الإعلاميّة في ما بعد). لكنْ: كيف اختارهم رئيس جهاز الأمن والاستطلاع في الجيش السوري؟ بأيّ صفة؟ وكيف وثِق بهم لدرجة أنّه تباحث معهم في شأن بيان التهديد الذي صدر عنه في تلك الليلة؟ هل كان يعلم أنّهم، حسب ما زعموا في ما بعد، كانوا من معارضي النظام السوري؟ والطريف أنّ الشلّة الإعلاميّة تلك كانت برفقة عبدالله الأمين الذي كان مصدر ثقة عند النظام السوري بحُكم موقعه في حزب البعث - الفرع اللّبناني. وطلب كنعان من السبع إرسال مصوّر في اليوم التالي لأخْذ صورة له وهو يهرول في الصباح الباكر (وكانت تلك الصورة الشهيرة). وفي المواجهة بين عناصر حزب الله والمخابرات السوريّة في ثكنة فتح الله في بيروت الغربيّة في شباط 1987، ينحاز السبع، حُكماً، للمخابرات السورية وينقل عن كنعان قوله: «صرماية كلّ جندي بعشرة من رؤوسهم». يستفظع السبع ما فعله عناصر حزب الله بعناصر الجيش السوري، كيف أنّهم رفضوا تنفيذ أوامر المخابرات السوريّة (يا للهول) ثم حاصروا دوريّة سوريّة راجلة وجرّدوا عناصرها من أسلحتهم وأهانوا الجنود، وقيل، حسب السبع، إنّهم حلقوا شارب قائد الدوريّة (ص. 63). يومها ردّ كنعان على «الإهانة» بإعدام 22 عنصراً من حزب الله. وعندما تقرأ عن تلك الحادثة تقول في نفسك: مَن عارض الجيش السوري خلال سيطرته في لبنان أكثر مِن حزب الله في تلك الحقبة؟ متظاهرو 7

آب قرب اليسوعيّة أم عناصر حزب الله في تلك الموقعة؟ تلك الموقعة هي أعنف مواجهة بين لبنانيّين والجيش السوري بعد دخول النظام السوري إلى بيروت في شباط 1987. العلاقة بين الحزب والنظام السوري مرّت بمراحل وتأزّمات عدة.

يعترف السبع أنّ دوره في «السفير» عزّز «رصيده» لدى قيادات النظام السوري (ص. 64). لا ندري كيف أنّ عمله الصحافي عزّز دوره عند أهل النظام إلّا إذا كان يقوم بما يعزّز ثقة النظام به. لعلّه استفاض في الشرح هنا كي نفهم أكثر، خصوصاً أنّه يربط هذا الدور بدفْعه لترشيح نفسه للانتخابات النيابيّة. ساعد في حظوظ السبع النيابيّة أنّ وليد جنبلاط كان مرتاحاً لوجوده «ضمن فريق الحريري» (ص. 65). أخبره السبع أنّه لن يترشّح إلّا بدعمه، أي إنّ النظام السوري، أوّلاً، ثم الحريري وجنبلاط، ثانياً، رعَوا دخوله للمجلس النيابي. كما إنّ محمود عمّار الذي كان لسنوات طويلة نائباً عن الحزب الشمعوني، دعم ترشيحه. يتحدّث عن طلب النظام السوري له للتعاون مع إيلي حبيقة، ويروي عن اغتيال الرجل ما قاله له الحريري إنّ مخابرات غربيّة أبلغته عن مسؤولية النظام السوري عن اغتياله بسبب مسؤوليّة حبيقة عن اختطاف الديبلوماسيّين الإيرانيّين في بيروت الشرقية في 1982. يقول إنّ رستم غزالة علِم بالتقرير الذي حصل عليه الحريري. لكنْ لماذا يتخلّص النظام السوري من واحد من أقرب حلفائه؟ فقط ليثأر للنظام الإيراني؟ هنا يُظهر السبع كم أنّ توثيقه الصحافي، على طريقة الكثير من صحافيّي لبنان وصحافيّاته، هزيل وركيك. يذكر كتاب «كوبرا» هنا، والاستعانة بـ«كوبرا» (الرجل لا الأفعى) لتوثيق أيّ معلومة هو بمنزلة اعتماد صحافة أدنى مستوى من صحافة التابلويد. لم يكتفِ بذلك، إذ إنّ السبع أظهر جهلاً بالإعلام العالمي عندما استشهد بتقرير «إخباري» لوين مادسن. لا يعرف السبع من يكون الرجل وإلّا لَما استعان به.

الرجل ليس صحافيّاً، بل هو صاحب مدوّنة تخصّصت في نشر نظريّات مؤامرة مضحكة وكاذبة. له كتاب عن أنّ المخابرات الأميركيّة هي التي زرعت باراك أوباما في البيت الأبيض (وأنّه مِثليٌّ يرتاد الحمّامات العامّة بغرض الجنس). لو سردتُ لكم عدداً من نظريّات المؤامرة التابعة لمادسن لامتنعتم عن الإشارة إليه في أيّ

مقالة صحافيّة. وها هو الصحافي اللّبناني الذي عمل في تحرير جريدة «السفير» يوثّق معلومة عبر «تقرير» من مادسن. صحافة بلادنا رثّة جداً؛ ولهذا تجب قراءتها بحذر شديد (كما كلّ صحافة طبعاً، بما فيها صحافة الغرب). والسبع كان من أبرز أعضاء الفريق الإعلامي لرفيق الحريري وهو يعتمد على تقارير كوبرا ووين مادسن. تعلَم اليوم رصانة إعلام رفيق الحريري ومصداقيّته. والسبع شغل منصب الأمين العام للصحافيين العرب وأمين سرّ نقابة الصحافة اللّبنانيّة. وجهْل السبع بسمعة مادسن تدعه يزهو بمصادره قائلاً: «وينقل مادسن عن مصادر استخباراتيّة أوروبيّة عالية» (ص. 74) (لم يحدّد السبع علوّ هذه المصادر عن مستوى سطح البحر).

يذكر أوّل لقاء له مع إيلي حبيقة، ويذكر عَرَضاً أنّ اللّقاء تمَّ في «شقّة خصّصها له (لحبيقة) غازي كنعان في مبنى قيادة المخابرات السوريّة في الرملة البيضاء» (ص. 75). ليس واضحاً إذا كان لقاؤه مع حبيقة بترتيب من غازي كنعان، خصوصاً أنّ السبع يذكر تأكيد حبيقة للدَّور الذي أدّاه غازي كنعان في «تنظيم انتقاله إلى دمشق». انكسرت حدّة العلاقة بين السبع وحبيقة بسبب «العلاقة التي نشأت معه خلال الحملة الانتخابيّة». يُسدي السبع له النصحَ لضمان فوزه، ويذكر أنّ حبيقة هدّد مرشحاً آخر بمسدّسه. ورواية السبع تؤكّد أنّ أشرس معارضة لحبيقة أتت من حزب الله (الذي اتُّهم في ما بعد بناءً على صورة يتيمة أنّه كان حليفاً لحبيقة. على العكس، الحزب هو الوحيد الذي عارض رغبة النظام السوري في الثناء على حبيقة ونسيان تاريخه الدموي).

يتحدّث عن تجربته النيابيّة بتواضع شديد: «وأزعم قيامي بهذه المسؤوليّات بإتقان ونجاح ومثابرة ومن دون ملل» (ص. 79). يقول إنّ نجاحه في الانتخابات النيابيّة «تقاطع» مع وصول رفيق الحريري إلى رئاسة الحكومة، كأنّ الأمرَيْن منفصلان. وفي المجال التشريعي (على ما أظنّ) يقول: «وضعتُ نُصْب عينيّ الاستفادة من وجود الحريري على رأس السلطة التنفيذيّة إلى الحدود القصوى» (ص. 80). وعندما علمَ الحريري أنّه كان ينوي بيع حصّته في إرث لشراء منزل زوجي، طلبَ منه «البحث عن شقّة في المكان الذي أختارُه والعَودة إليه لبثّ التفاصيل». صباح اليوم التالي لعثوره على شقّة،

«استدعاني الحريري إلى قريطم ليُبْلغني أنّه طلب من المسؤول المالي في شركة «سعودي أوجيه» محمد الحريري، تأمين مبلغ خمسمئة ألف دولار لوَضْعها في تصرّفي». ثم هناك من يجرؤ على التشكيك في إصلاحيّة رفيق الحريري؟

(يتبع)

* كاتب عربي

{asadabukhalil@} حسابه على إكس

مقالات ذات صلة

قضايا وآراء

الحكومة العتيدة و«تطبيق الدستور»

سعد الله مزرعاني

25.01.2025

قضايا وآراء

عامليّون في إيران

عامر محسن

25.01.2025

الأكثر قراءة

لبنان

المشكلة الأكبر التي تواجه سلام

عمر نشابة

24.01.2025

لبنان

السعودية في لبنان مجدّداً: أنا من ينطق باسم السنّة!

ابراهيم الأمين

24.01.2025

لبنان

شكوى تحرّش ضد رئيس مجلس شورى الدولة

لى ابراهيم 25.01.2025

لبنان

ابن فرحان لنواف سلام: إمْضِ بحكومة أمر واقع!

الأخبار 25.01.2025

لبنان

وقف إطلاق النار في عهدة الدولة وأميركا

الأخبار 24.01.2025

لبنان

العدوّ لن ينسحب غداً: واشنطن تدعم تمديد الاحتلال

الأخبار 25.01.2025






